تقديم

بكر بن عبد الله أبو زيد

رئيس مجمع الفقه الإسلامي وعضو هيئة كبار العلماء بالمملكة العربية السعودية

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَٰنِ الرَّحِيمِ

الحمد لله وحده، والصلاة والسلام على من لا نبي بعده.

أما بعد: فقد اشتغل علماء المسلمين منذ الصدر الأول بالتأليف، ثم تلاه إنشاء الخزائن والمكتبات الجامعة للمؤلفات، ثم عمل الفهارس الحاوية لموجوداتها والأثبات، وما زالت هذه المعارف الثلاث في نموٍّ وارتقاءٍ حتى بلغت حَدَّ التوسع والازدهار، وعن كل واحد منها أُفرِدت مؤلفات وبحوث ودراسات.

أما التأليف: فقد نشأ في عصر الخلفاء الراشدين ـ رضي الله عنهم أجمعين ـ وذلك في مجال الوحيين الشريفين، الكتاب والسنّة، ولا أَدلَّ على ذلك من وجود النُّسخ والصُّحف الحديثية لجمعٍ من الصحابة ـ رضي الله عنهم ـ فمن بعدهم، وقد أَفرَدْتُ في هذا: «كتاب النُّسخ والصُّحف الحديثية» جَمَعْتُ فيه نحو «٣٥٠» صحيفة في الحديث والتفسير، ثم أخذ التأليف في توسع، وتَوَلَّدت العلوم وتنافس العلماء بالتأليف فيها حتى بلغت التآليف على مَرِّ القرون بضعة ملايين، ولا حجة لمن حَدَّدها بثلاثة ملايين، ويكفي للبرهنة على ذلك أن بعض المؤلفين بلغت مؤلفاته الألف، وأَما المآت والعشرات فهي سِمَةٌ لعامةِ العلماء.

ومن البراهين كذلك أَن بعض المؤرخين قَدَّر ما أتلفه الصليبيون في طرابلس وحدها بثلاثة ملايين مجلد كما في كتاب «تراثنا ص٣٤».

أَمَّا الخزائن والمكتبات فقد بلغت في الممالك الإسلامية مبلغاً ما بين خاصة في البيوت، وعامة في الجوامع ودُور العلم ينشئها محبو العلم ويجلبون إليها نفائس الكتب على تنوع العلوم، وأَول خزانة أُنشئت بدمشق في عهد الخليفة الأموي عبد الملك بن مروان المتوفى سنة ٨٦، أَنشأها خالد بن يزيد بن معاوية المتوفى سنة ٨٥ كما في كتاب «معاهد التربية الإسلامية ص٤٠٤» وقد اتجهت وقفيات العلماء لمكتباتهم على المكتبات العامة حفظاً لها من التشتت والضياع.

ولعل أَعظم مكتبة عامة هي مكتبة الزهراء بقرطبة، يدل على ذلك فهرسها؛ إذ بلغ أَربعة وأربعين مجلداً، وكان نصيب أَسماء دواوين الشعراء منها في «٨٨٠» صفحة كما في: «العبر لابن خلدون: ١٤٦/٤» فما الظن بالعدد المئوي الألفي لمحتوياتها من المؤلفات.

وفي المشرق: «دار الحكمة» بالقاهرة، أَنشأها الحاكم بأمر الله ٣٩٥؛ إذ تضم أَربعين خزانة، احتوت إحدى خزائنها على ثمانية عشر أَلف كتاب، كما في «تاريخ المقريزي: ٤٠٨/١».

ولعلَّ أَعظم مكتبة خاصة هي مكتبة الصاحب ابن عباد المتوفى سنة ٣٨٥؛ إذْ كانت حمل أربعمائة جمل في أسفاره، وفهارسها في عشرة مجلدات، كما في «معجم الأدباء: ٢٥٩/٦».

أَما الفهارس فقد اشتغلها المختصون على قسمين:

الأول: ما لا يختص بمكتبة أو خزانة، وهذا القسم قَلَّبوا التأليف فيه على وجوه عِدَّة:

منها معاجم للمؤلفات، ومنها معاجم للمؤلفين ومؤلفاتهم أو

بعضها، ومنها فهرست الكتب حسب المصنفين على السنين، ومنها فهرست الكتب لعلم من العلوم، ومنها عمل فهارس لمن له كذا من المؤلفات إلى الألف فما زاد، ومن ليس إلا مؤلف واحد على حَدِّ قولهم: لا تخف إلَّا من صاحب الكتاب الواحد، وهكذا:

الثاني: فهرست الخزائن والمكتبات، ومنها فهرست مكتبة الزهراء بقرطبة في أَربعة وأَربعين مجلداً كما تقدَّم.

ومنها في عصرنا: فهرست المكتبات العامة في أنحاء العالم، وقد بلغت نحو خمسة آلاف فهرس، وطبعت في مجموع بلغت مجلداته نحو ١٤٠ مجلداً.

وفي عصر الطباعة، جاءت وِجْهَةٌ جديدة من الفهارس للمطبوعات وأُخرى للمطبوع والمخطوط، وشيء من المفقود لحقبة زمنية معينة، وهذا ما عمله الأستاذ فؤاد سزكين في كتابه: «تاريخ التراث العربي» استقرأ حسب وسعه ما أُلِّف منذ صدر الإسلام حتى عام ٤٤٤ من هجرة النبي ﷺ، وطبع باللغة الألمانية، ثم باللغة العربية، فأَسْدَى لأهلِ العلم معروفاً لا يُنكر، وعملاً جليلاً يُشكر، وكان هدفه من كتابه كما حدّده في مقدمته بقوله: «جعلت هدفي الأول في المرحلة الأولى هي كتابة تاريخ العلوم العربية والإسلامية ويأتي الهدف البيلوجرافي في المرتبة الثانية من الأهمية» اهـ. لكن اعتراه النقص من جهات منها:

١ ـ أنه فاته عدد ليس بالقليل من المؤلفات للمؤلفين الذين ذكرهم.

٢ ـ وَفَاتَهُ عدد غير قليل من المؤلفين ومؤلفاتهم.

٣ ـ وفاته عدد كبير من نُسخ الكتاب الواحد الموجودة في عدد من مكتبات العالم حتى بلغت نُسخ الكتاب الواحد نحو ألف نسخة، مثل صحيح البخاري ـ رحمه الله ـ ومثل التيسير لأبي عمرو الداني ـ رحمه الله ـ، وهكذا مما ترى خبره في هذه الاستدراكات.

٤ ـ حصل له جملة تصحيفات وأوهام وأغلاط في العزو والأرقام والوفيات ووصف بعض المخطوطات...

وجميع هذه الوجوه وما جرى مجراها لا عتب فيها ولا ملام، فكم ترك الأول للآخِر، وسزكين ذكر أنه استدرك على سَلَفِهِ في التأليف بهذا المجال: بروكلمان الألماني في كتابه «تاريخ الأدب العربي» فهذا الكتاب الذي بين أيدينا «استدراكات على كتاب تاريخ التراث العربي» من باب المعاملة بالمثل، وهو أمر يفرح به الفَوَقَةُ من أهل العلم، حتى يصل الكتاب إلى المستوى الأتم وكيف لا تكون هذه الاستدراكات، وسزكين إنما بلغ عدد فهارس المكتبات التي اطّلع عليها «١٦٧٣» فهرساً وهي نحو خمسة آلاف فهرست، وقد طبعت في نحو «١٤٠» مجلداً.

فمثلاً لم يطَّلع على مكتبات العراق، ومنها مكتبة المتحف العراقي ببغداد التي تضم ما يزيد على ثلاثين ألف مخطوط من الأصول.

ولم يطَّلع على مكتبات المملكة سوى مكتبتي المحمودية وعارف حكمت بالمدينة، ومكتبات المملكة يقدر ما فيها من الأصول المخطوطة بمائة ألف، ومن المصورات بنصف مليون.

ولم يدخل اليمن وعلى الخصوص مكتبة الجامع الكبير بصنعاء. وهكذا.

وهذا المشروع سبقه بعض المقالات والاستدراكات لأكرم العمري، ورمضان ششن، وصبحي عبد المنعم، وسيد رضوان، كما ذكر خبرها الأستاذ حكمت في مقدمته ص١٧ ـ ١٨.

لكن سزكين كدَّر صَفْوَ كتابه بما فيه العتب والملام، وما يجب نفيه عن دين الإسلام وحملته الأعلام؛ وذلك بما شابه من بعض نفثات كَفَرةِ أهل الكتاب ـ المستشرقين ـ من مطاعنهم في القراءات للقرآن

الكريم، ونقلة السنّة النبوية من الصحابة والتابعين فمن بعدهم، ومُجمل هذا:

١ ـ الطعن في القراءات للقرآن الكريم وهي في كتابه: «تاريخ التراث العربي بالفصل الأول: ١/١٩».
وقد فَنَّد العلماء شبهتهم فيها، وأَطَّرها الشيخ حكمت بشير في هذه الاستدراكات ١/٢٨ ـ ٥٠ بما لا مزيد عليه.

٢ ـ النَّيل من إمام المفسرين ابن عباس، وتلاميذه ـ رضي الله عنهم ـ كما في كتابه: «تاريخ التراث العربي: ١/٦٠».
وقد ذَبَّ عنهم الشيخ حكمت في هذه الاستدراكات: ٢/١١ ـ ٢٢ فدحض مقولاته ونقولاته الشنيعة.

٣ ـ النَّيل من أمير المؤمنين في الحديث الإمام البخاري ـ رحمه الله تعالى ـ لكنه ـ بحمد الله تعالى ـ رجع عن ذلك في الطبعة العربية لكتابه.

وهذه النفثات أتته من قِبَلِ التصاقه بنفر من كفرة أهل الكتاب ـ المستشرقين، والتلمذة عليهم، وتبجيلهم، وانظر كيف تصيدوه فوقع في حبائلهم: في إمام المفسرين ابن عباس ـ رضي الله عنهما ـ وفي أمير المؤمنين في الحديث الإمام البخاري ـ رحمه الله تعالى ـ وفي ذلك مبدأ هدم للوحيين الشريفين، لأنه إذا سقط الحامل سقط المحمول.

ثم أَشْرَوْه مرة أخرى فَصَدَّرَ للمسلمين هذه المكائد وهذه غاية أَمانيهم؟!

هذه الاستدراكات:

وهذه الاستدراكات التي حررت هذا التقديم لها تأتي لمعالجة ما ذُكِرَ حسب الوسع والطاقة؛ إذْ سَمَت همَّة الشيخ حكمت بشير إِلى هذا

العمل الجليل لهذه الحقبة الزمنية من صدرِ الإسلام إلى منتصفِ القرن الخامس الهجري، مرتباً لها على ترتيب الأصل: كتاب سزكين «تاريخ التراث العربي» منتدباً لها نفسه وجمعاً من طلبة العلم بإشرافه مقدماً لهذا المشروع بمقدمة ضافية، وهذا التقديم مُدَانٌ لما فيها من معلومات، كما أفدت من مقدمات الأساتذة الآخرين.

وقد أَعد هؤلاء الأساتذة الأجلاء هذا العمل على النحو الآتي:

١ ـ القراءات.
٢ ـ التفسير وعلوم القرآن (أعدّهما الأستاذ حكمت).
٣ ـ قسم العقيدة: محمد أبو بكر بن علي، وأحمد عايش العاني، وجمال محمد السيد، ومصطفى مفلح القضاة، وحسان جاسم الهايس.
٤ ـ علم الحديث: أعدّه الأستاذ نجم عبد الرحمن خلف.
٥ ـ قسم الفقه: أعدّه الأساتذة اللذين أعدّوا قسم العقيدة.
٦ ـ السيرة والتاريخ.
٧ ـ الشعر وفقه اللغة (أعدّهما الأستاذان حسين بن قاسم النعيمي، وابنه حمزة).
٨ ـ الكيمياء... أعدّه الأستاذ حمزة بن حسين بن قاسم النعيمي.

بيانٌ لا بد منه:

لكن هنا بيان لا بد منه وهو: تميّز عمل سزكين في كتابه: «تاريخ التراث العربي» بوصف النُّسخ الخطية التي ذكر ـ في الجملة ـ ورصد البيانات اللازمة عنها مثل: عدد أوراقها، وعدد أجزائها، وتاريخ نسخها، وتحديد مؤلفيها.. كل هذا عن مشاهدة.

أما هذه «الاستدراكات» فهي نقل ـ في الجملة ـ من فهارس

المكتبات المعنية بالمخطوطات بما فيها من معلومات؛ لهذا فإن احتمال كثرة الأخطاء في هذه الاستدراكات ليس بعيداً.

وهذه ميزة تجعل عمل سزكين فريداً في بابه، وهو ينافس في هذا العلامة عبد العزيز الميمني الراجكوتي المتوفى سنة ١٣٩٨ في كتيبه: «إقليد الخزانة» الذي انتقى فيه تسمية المخطوطات النادرة في بلدان العالم التي دخلها.

ويظهر أن هؤلاء الأساتذة الفضلاء كتبوا هذه الاستدراكات ولم يطلعوا على هذه الموسوعة الحديثة لفهارس مكتبات العالم وهي في نحو ١٤٠ مجلداً بلغات مختلفة.

وقد رأى المجمع أن تكون هذه الاستدراكات بأجزائها الثمانية في منظومة مطبوعاته. نسأل الله أن ينفع بها، والله ولي التوفيق.

رئيس المجمع

بكر بن عبد الله أبو زيد

٨ رمضان ١٤٢٢